الإيمان وهو ما ترجح به كفة المؤمنين وما ينبغي أن يستندوا إليه روحيا، فإن إيمانهم لهم أمل في الله رحمةً ومغفرة ليس لدى المشركين مثله[1]، وهم بهذا الإيمان ينتصرون على عدوهم، فالرجاء هنا مثبت للمؤمنين منفي عن الكافرين، أي أن الطرفين غير متساويين في العنصر الإيجابي الذي هو من عوامل النصر، ولفظ الرجاء مسوق في سياق التعزيز وتقوية الهمة، التي لا يساق فيها إلا ما هو مشجع ومبشر.

يقول أبو حيان[2]: «ثم شجعهم على طلب القوم وألزمهم الحجة، فإن ما فيهم من الألم مشترك، وتزيدون عليهم أنكم ترجون من الله الثواب وإظهار دينه بوعده الصادق، وهم لا يرجونه فينبغي أن تكونوا أشجع منهم وأبعد عن الجبن.

وإذا كانوا يصبرون على الآلام والجراحات والقتل، وهم لا يرجون ثوابًا في الآخرة، فأنتم أحرى أن تصبروا».

ثم يقول: «والرجاء هنا على بابه، وقيل: معناه الخوف الذي تخافون من عذاب الله ما لا يخافون، كقوله: إذا لسعته النحل لم يرجُ لسعها، أي لم يخف. وزعم الفرّاء أن الرجاء لا يكون بمعنى الخوف إلا مع النفي، ولا يقال رجوتك بمعنى خفتك».

ولا يمكننا ـ سواءً أقررنا بالقاعدة التي ذكرها الفرّاء أو لم نقر ـ أن نفسر اللفظ هنا على معنى الخوف، إذ لا محل لذكر الخوف عند التشجيع وإلا سقط الهدف من التشجيع فكيف يشجع المرء إنسانًا على شيء بأن يذكره بخوفه من شيء آخر، خاصةً وأن دوافع الرغبة في شيء والحب لدى الإنسان أصح للنفس الإنسانية من دافع الخوف، ولا شك أن الله يختار لجنوده الحال الأصح والأرقى لا الأدنى.

الآية السادسة قول الله تعالى:

﴿إن الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرًا وعلانية، يرجون تجارة لن تبور﴾[3].

تعيدنا الآية إلى دور المفعول في تحديد الدلالة، فهل يمكننا ببساطة أن نستبدل بـ**﴿يرجون﴾** هنا **﴿يخافون﴾** ؟

---

(١) في صحيح السيرة أن الرسول عليه الصلاة والسلام أمر عمرًا رضي الله عنه أن يقول للمشركين: «الله مولانا ولا مولى لكم» ردا على قول أبي سفيان: «لنا العزى ولا عزى لكم».

(٢) البحر المحيط، ج٤، ص٥٤، ٥٥.

(٣) فاطر. ٢٩.